

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى

اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ

فاطر (15)

معاني الكلمات :

أنتم الفقراء إلى الله: أي المحتاجون إليه في كل حال.
والله هو الغني الحميد: أي الغني عنكم أيها الناس
وعن سائر خلقه، الحمود بأفعاله وأقواله وحسن
تدبيره فكل الخلائق تحمده لحاجتها إليه وغناه عنها.

المعنى الإجمالي

نادى تعالى الناس بقوله {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} ليعلمهم بأنه
وإن خلقهم لعبادته وأمرهم بها وتوعد بأليم العذاب
لمن تركها ولم يكن ذلك لفقر منه إليها ولا حاجة به
إليهم فقال {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ
هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} إن عبادة الناس لربهم تعود عليهم
فيكملون عليها في أخلاقهم وأرواحهم ويسعدون
عليها في دنياهم وآخرتهم أما الله جل جلاله فلا
تنفعه طاعة ولا تضره معصية. وهو الغني عن كل ما
سواه {الْحَمِيدُ} أي الحمود بنعمه فكل نعمة بالعباد
موجبة له الحمد والشكر.

ويخاطب تعالى جميع الناس، ويخبرهم بحالهم ووصفهم، وأنهم
فقراء إلى الله من جميع الوجوه:

- 1-فقراء في إيجادهم، فلولا إيجادهم إياهم، لم يوجدوا.
 - 2-فقراء في إعدادهم بالقوى والأعضاء والجوارح، التي لولا إعدادها
إياهم [بها] ، لما استعدوا لأي عمل كان.
 - 3-فقراء في إمدادهم بالأقوات والأرزاق والنعم الظاهرة والباطنة،
فلولا فضله وإحسانه وتيسيره الأمور، لما حصل [لهم] من الرزق
والنعم شيء.
 - 4-فقراء في صرف النقم عنهم، ودفع المكار، وإزالة الكروب
والشدائد. فلولا دفعه عنهم، وتفريجه لكرياتهم، وإزالته لعسرهم،
لاستمرت عليهم المكار والشدائد.
 - 5-فقراء إليه في تربيتهم بأنواع التربية، وأجناس التدبير.
 - 6-فقراء إليه، في تألههم له، وحبهم له، وتعبدهم، وإخلاص العبادة له
تعالى، فلو لم يوفقهم لذلك، لهلكوا، وفسدت أرواحهم، وقلوبهم
وأحوالهم.
 - 7-فقراء إليه، في تعليمهم ما لا يعلمون، وعملهم بما يصلحهم، فلولا
تعليمه، لم يتعلموا، ولولا توفيقه، لم يصلحوا.
- فهم فقراء بالذات إليه، بكل معنى، وبكل اعتبار، سواء شعروا ببعض
أنواع الفقر أم لم يشعروا، ولكن الموفق منهم، الذي لا يزال يشاهد
فقره في كل حال من أمور دينه ودنياه، ويتضرع له، ويسأله أن لا
يكله إلى نفسه طرفة عين، وأن يعينه على جميع أموره، ويستصحب
هذا المعنى في كل وقت، فهذا أخرى بالإعانة التامة من ربه وإلهه،
الذي هو أرحم به من الوالدة بولدها.
- {وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} أي: الذي له الغنى التام من جميع الوجوه،
فلا يحتاج إلى ما يحتاج إليه خلقه، ولا يفتقر إلى شيء مما يفتقر إليه
الخلق، وذلك لكمال صفاته، وكونها كلها، صفات كمال، ونعوت
وجلال. ومن غناه تعالى، أن أغنى الخلق في الدنيا والآخرة، الحميد في
ذاته، وأسمائه، لأنها حسنى، وأوصافه،

لكونها عليا، وأفعاله لأنها فضل وإحسان وعدل وحكمة ورحمة،
وفي أوامره ونواهيه، فهو الحميد على ما فيه، وعلى ما منه، وهو
الحميد في غناه [الغني في حمده] .

علامات الافتقار إلى الله تعالى:

أولاً: غاية الذل لله تعالى مع غاية الحب: فالمؤمن يُسلم نفسه
لربه منكسراً بين يديه، متذللاً لعظمته، مقدماً حبه سبحانه
وتعالى على كل حب .

ثانياً: التعلق بالله تعالى وبمحبوباته:

فشعور العبد بفقره وحاجته إلى ربه عز وجل يدفعه إلى الاستكانة
له والإنابة إليه، ويتعلق قلبه بذكره وحمده والثناء عليه، والتزام
مرضاته، والامتثال لحبوباته.

ثالثاً: مداومة الذكر والاستغفار:

فقلب العبد المؤمن عاكف على ذكر مولاه، والثناء
عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى في كل حال من
أحواله، دائم التوبة والاستغفار عن الزلل أو
التقصير، يجد لذته وأنسه بتلاوة القرآن، ويرى
راحته وسكينته بمناجاة الرحمن.

رابعاً: الوجل من عدم قبول العمل:

فمع شدة إقبال العبد على الطاعات، والتقرب إلى
الله بأنواع القربات؛ إلا أنه مشفق على نفسه أشد
الإشفاق، يخشى أن يُحرم من القبول .

لهذا يجب على العبد ان يعرف هذه الأمور :

- 1-أن الله عز وجل غني عن طاعات العباد:
- 2-أن قبول الأعمال إنما هو من فضل الله ورحمته.
- 3-أن المنة لله جميعاً .
- 4-أن العبد لا يأمن على نفسه الفتنة .
- 5-خشية الله في السر والعلن .
- 6-تعظيم الأمر والنهي .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (25)



فَوَائِدُ مِنْ سُورَةِ الْفُقَرَاءِ إِلَى اللَّهِ 15

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أعدّها عزمي إبراهيم عزيز

تحقيقاً للغاية التي من أجلها خلق الإنس والجن، كما قال الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (56) سورة الذاريات. فهو المستحق الوحيد للعبادة لعموم سلطانه على الكون وعظيم فضله على الخلق أجمعين، ومع ذلك يجب أن نعلم أن الله تعالى غني عن العالمين فالعبادة لا تزيده ولا تنقصه مثقال ذرة؛ لأنه غني بذاته غني مطلقاً فلا يحتاج إلى شيء مما في الوجود بل كل ما في الوجود محتاج إليه.

11- سعد من تعلق قلبه خوفاً ورجاء بالملك المولى، وقد خاب من طغى وأعرض واستغنى، فمن تعلق بغير الله وكل إليه، ومن تعلق بربه أسعفه بمراده وقربه إليه.

12- إن هذه المنزلّة الجليلة التي يصل إليها القلب هي سرُّ حياته وأساس إقباله على ربه سبحانه وتعالى؛ فالافتقار حادٌ يحدو العبد إلى ملازمة التقوى ومداومة الطاعة.

13- إن أرفع مقامات الذلة والافتقار أن يطأ العبد رأسه بالركوع، ويعقّر جبهته بالتراب مستجيراً بالله منياً إليه، ولهذا كان الركوع مكان تعظيم الله تعالى، وكان السجود مكان السؤال.

14- ثمرة العبادة إنما ترجع إلى الشخص العابد نفسه إذ هو يحتاج إلى الله تعالى والمفتقر إليه استعانة وتوكلاً كما قال تعالى: {مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا} (15) سورة الإسراء.

15- حرصهم على أداء هذه العبادات الجليلات فإنهم لا يركنون إلى جهدهم، ولا يدلون بما على ربحهم، بل يزدرون أعمالهم، ويظهرون الافتقار التام لعفو الله ورحمته، وتتلّى قلوبهم مهابة ووجلًا، يخشون أن ترد أعمالهم عليهم، والعباد بالله، ويرفعون أكف الضراعة ملتجئين إلى الله يسألونه أن يتقبل منهم.

والله اعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الفوائد :

1- بيان فقر العباد إلى ربهم وحاجتهم إليه وإزالة فقرهم وسد حاجتهم يكون باللجوء إليه والاطراح بين يديه يعبدونه ويسألونه.

2- جميع الناس - على اختلاف طبقاتهم، وتباين أجناسهم - مفتقرون إليه تعالى في كل شؤونهم؛.

3- الغني لا يكون إلا بأمره، والسعادة لا تكون إلا بمشيئته، والسلامة لا تتم إلا بإرادته، والحاجة دائماً إليه، والاستعانة دائماً به.

4- كل نعمة بالناس منه سبحانه، فله الحمد والشكر على كل حال.

5- يدل على أنه تعالى هو الحقيق بالعبادة. لغناه المطلق. فهو الذي تجب عبادته وحده، لأن النفع والضرب بيده لا شريك له .

6- ان التعلق بما سوى الله تعالى لا يفيد شيئاً من الجلب والسلب فانه كله مخلوق والمخلوق عاجز وليست القدرة الكاملة الا لله تعالى فوجب توحيده والعبادة له.

7- الغنى المطلق من كل وجه ثابت لذاته تعالى وحقيقته من حيث هي فيستحيل أن يكون العبد إلا فقيراً. ويستحيل أن يكون الرب سبحانه إلا غنياً. كما أنه يستحيل أن يكون العبد إلا عبداً ويستحيل أن يكون الرب إلا رباً.

8- شرع الله تعالى لنا وأوجب علينا عبادته، وليس ذلك لحاجته إلينا، لا لتحميلنا المشقة، فالله غني عن العالمين، وهو أرحم الراحمين قال سبحانه: {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} (97).

9- إن المتأمل في جميع أنواع العبادة القلبية والعملية يرى أن الافتقار فيها إلى الله هي الصفة الجامعة لها، فيقدر افتقار العبد فيها إلى الله يكون أثرها في قلبه، ونفعها له في الدنيا والآخرة،

10- إن الباعث الأساسي للعبادة هو استحقاق الله تعالى لذلك فنحن نعبد الله -جل وعلا- لأنه مستحق للعبادة